

اسم الأستاذ(ة): سلوى بوراس
المقياس: مدخل إلى الآداب العالمية
السنة: الثانية.
التخصص: دراسات أدبية
النوع(محاضرة/تطبيق): محاضرة
المجموعة: الرابعة

الأدب الهندي القديم.

تميزت بلاد الهند خلال الفترات الاستعمارية المتعاقبة عليها، بصمودها وقوتها أمام تلك الغزوات الحضارية، ناهيك عن محاولتها بناء صرحها الثقافي انطلاقاً من تعدد الثقافات، وهذا ما انعكس إيجاباً على الهند التي ارتسمت على ملامحها مجموعة من الأديان والمعتقدات المتعددة، والعادات والتقاليد واللغات المتنوعة، نتيجة لذلك الامتزاج الثقافي والعرفي مع الشعوب المستعمرة.

أولى الوثائق الأدبية في الهند هي (الفيدا/ المعرفة) *le véda*، نصوص دينية تواترت شفاهة ثم دونت كما وردت على السنة الرواة، مجهولة التاريخ والكاتب، لكنها عمل الجماعات الآرية (من جذور هندية أوروبية) التي غزت الهند من شمالها الغربي، من هنا نسبة النصوص الفيديّة القديمة، إلى هذه الحقبة، قد يكون تاريخ تدوينها أحدث، واستمر طويلاً حتى القرن السادس أو الخامس (ق.م)¹

لغة هذه الوثائق: السنسكريتية القديمة (المدعوة السنسكريتية الفيديّة) التي تشبه اللغة الإيرانية التي فيها كتبت المقاطع القديمة من الأوستا وهي ليست بعيدة عن اللغة الأم: الهندو-أوروبية وإنها تتميز بغناها وحرية قواعدها ووفرة مفرداتها، وخضوعها لنظام مراجع مقيد بتمثلات أسطورية وطقوسية: فعلى اللغة أن تعبر عن الصلات بين مظاهر العبادة أو الهيكل الإنساني، والمظاهر المناخية أو السماوية، فالعبادة الفيديّة تقليد الظواهر الطبيعية الكبرى التي هي نتيجة تضحية سماوية أولى.

والكتاب الهندوسي المقدس الفيديا (*2) هو عبارة عن تراثيل دينية وأشعار ارتبطت بالحكمة كأداة مهمة لتقوية الروابط الإنسانية بين الشعب الهندوسي الواحد، وهي أناشيد ذات صبغة صوفية فلسفية روحانية، لرد الأذى عن الفرد والمجتمع وإصلاح حالهم.

¹ لويس رينو: آداب الهند، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1989.
²* تكمن قداسة الفيديا في جمعه لتراثيل موجهة للآلهة بهدف الاستنارة الروحية، بل في المبادئ السامية التي تتأسس على الصقل الروحاني والعمل الديني، والتأمل الفلسفي.

نجد في ملحمتي "المهابهاراتا" و"الراماينا" تاريخ الهند، أساطيرهم ومعتقداتهم وطبيعة حياتهم ونظيمهم السياسي والاجتماعي، إنهما آثار أدبية خالدة بقداستها وعظمتها الفنية والفكرية والأدبية

1/المهابهاراتا: Maha-baharata

هي نص أدبي شعري عظيم لدى الهندوس، طويل جداً، نُظِم على مراحل زمنية متباعدة، أضيف إليه الكثير من الأجزاء كغيرها من الملاحم الطبيعية وهي مجهلة القائل، تناقلتها الألسن شفاهة، هذا ما عرضها للتحريف.

ورغم التحريف والتنزييف الذي طال نص **المهابهاراتا** بفعل النقل والمشافهة، إلا أنها تبقى النص المقدس الذي يلجأ إليه الهندوس في تعبداتهم وتلاوتهم الدينية وصلواتهم وطقوسهم. بل هي المرجع الديني الأكثر تأثيراً في الهند.

إنها أشهر ما كتب في الآداب الهندية تتألف من ثمانية عشر كتاباً. ليست من تأليف شاعر واحد، ولم تكتب في جيل واحد وإنما هي مزيج من المعارف المتراكمة عبر الأجيال، في الدين والقانون، والعادات والتقاليد والأساطير، دونت باللغة السنسكريتية، وعُرفت بشكلها الحالي منذ القرن الثالث ويقصد بالمهابهاراتا حرب البهاراتا العظمى (3).

وكان السبب في كتابتها هي الإشادة بعائلة البهاراتا المالكة، والحديث عن الحروب التي نشبت بين الأمراء، من أجل الاستلاء على الأرض والنفوذ، حيث نقلها إلى العربية³ وديع البستاني⁴. وإذا كانت المهابهاراتا هي أضخم الكتب الهندية على الإطلاق، فإن للهنود كتباً أخرى لا تضاهيها حجماً، ولكن تضارعها أهمية مثل (الفيدا/ المعرفة)

2/الراماينا:

هي ملحمة هندية لم يعرف تاريخ وضعها، وفي القرن الخامس ق.م قيض لها شاعر زهد بالحياة، بعد أن فتك طويلاً، فأعاد النظر فيها، وربط بين أقسامها وزاد عليها. وإذا كانت المهابهاراتا تتألف من أكثر من مئتي ألف بيت شعر، فإن الراماينا مجموعة في أربعة عشر ألف مقطع، وتروي أخبار أربعة أخوة من أبطال الهند صارعوا آلهة الشر، وانتصروا عليها، فنشروا العدل والسلام في المجتمع، وحوث هذه الملحمة تأملات عقائدية، وحكما أخلاقية، وإشارات تاريخية (4)

وتسمى ملحمة "الاله راما"، أو أوديسة الهند³ كما وصفت في غلاف الملحمة، تعد الراماينا نصاً أدبياً شعرياً، يضاهي عظمة ملحمة المهابهاراتا، ولعل الراماينا نالت شهرة أوسع لأنها

³ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

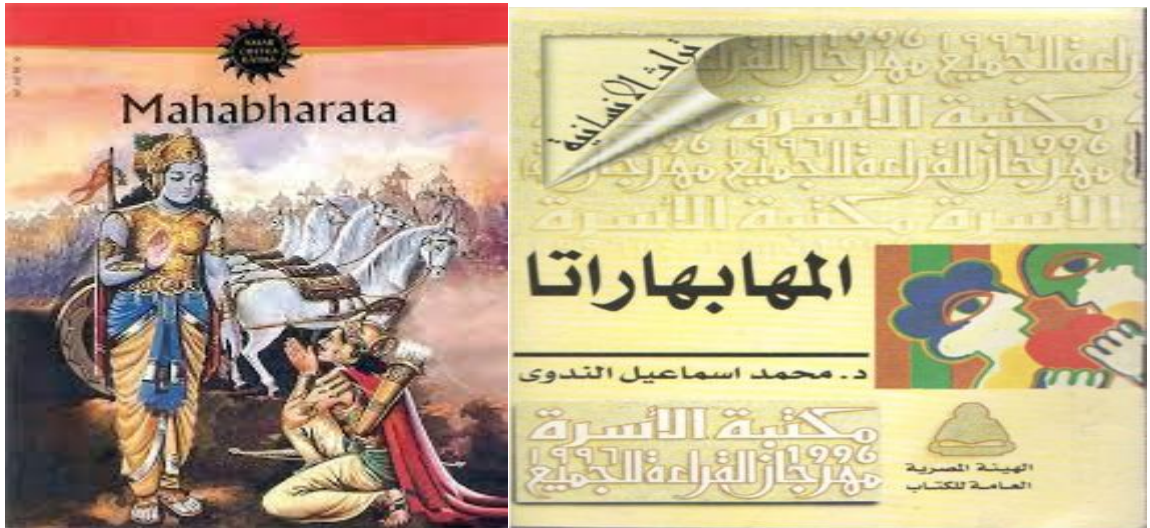
⁴ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

تصور مرحلة التواجد الآري في الهند تصويرا دقيقا، تتجلى فيها الطقوس السائدة في الهند، عقائدهم وتقاليدهم، ونظامهم الاجتماعي والسياسي، هي نص أسطوري يجمع المظاهر الكونية والطبيعة المقدسة.

تحظى الملحمة بمكانة خاصة لدى الهندوس قديما وحديثا، إنشادها يمنح القوة الروحية، ويوقظ شعور الحب والإنسانية وفيها إشادة بالأخلاق الفاضلة من خلال شخصيات أسطورية تشكلت عبر مظاهر إنسانية وحيوانية، وأخرى خارقة من نسيج الخيال والوهم، تقدم المثل العليا للأنوثة والرجولة مجسدة في شخص سيتا وزوجها راما وحياتهما، وتشير الملحمة إلى نظام مثالي للمجتمع بأسره، وكذلك إلى تنظيم مثالي لحياة الفرد، حيث تتجلى فيها النظام الأخلاقي الذي ساد المجتمع الهندي، وكذا الاجتماعي والسياسي الذي بين طرق انتقال الحكم من الملك إلى الابن⁵.



المهابهاراتا: معارك الأرض وأغنيات السماء.



الراماياتنا: ثاني ملاحم الهند الكبرى (شعر الهند)

⁵ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.



عيسى مولا

تقديم: د. محمد بن عبد الله

"الهندية" الراماياتنا

ملحمة الإله راما

مراجعة وتقديم
محمد سعيد الطريحي

